JABATAN KEMAJUAN ISLAM MALAYSIA

Jurnal Hadhari 7 (1) (2015) 89-103
www.ukm.my/jhadhari

PENERBIT UKM
UKM PRESS

ترجمة: سيهوفيد ه خا يثدلحا مقدليفروشالعدلمحا مةالث المبعلرداقة لماؤانر

(Al-ʻAllamah al-Muhaddith Abdul Qadir al-Arnaout: His Biography and Endeavors in the Service of Hadith)

RAFA RAMADAN MOHAMED HASAN*

Qism al-Daʻwah wa Usuluddin, al-Jamiʿah al-Asmariyyah li al-Ulum al-Islamiyyah, Libya

ملخص

تناول هذا البحث التعريف بأحد علماء الحديث المعاصرين الذين بذلوا أوقاتهم بل وأعمارهم في خدمة الحديث النبوي الشريف، ويهدف البحث إلى التعريف بالعلامة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط أحد علماء دمشق، الذين نذروا أوقاتهم في تمييز صحيح السنن والآثار من ضعيفها، لكن قَلَّ من الناس من يعرف أخباره أو شيئاً منها، بل إن كثيراً من طلبة العلم من يخلط بينه وبين شعيب الأرناؤوط. وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة عناصر وخاتمة؛ أما المقدمة فقد نوَّه فيها الباحث بمكانة أهل الحديث وفضلهم، ثم جاء العنصر الأول مشتملاً على التعريف بالشيخ، واشتمل العنصر الثاني على التعريف بسيرته العلمية، يأتي بعد ذلك العنصر الثالث والأخير وهو الذي خصه الباحث بالحديث عن جهود الشيخ في خدمة الحديث الشريف.

مفتاح الكلمات: المحدث؛ عبد القادر الأرناؤوط؛ الحديث الشريف

Corresponding author: Rafa Ramadan Mohamed Hasan, Qism al-Daʻwah wa Usuluddin, Al-Jamiʿah al-Asmariyyah li al-Ulum al-Islamiyyah, Libya, e-mail: rafa_dkeel@yahoo.com
Received: 26 September 2012
Accepted: 11 February 2015
DOI: http://dx.doi.org/10.17576/JH-2015-0701-06

ABSTRACT

This article aims to introduce Sheikh Abdul Qader, an 'ulama' derived from Damascus. He is a scholar who tried to differentiate between prophetic tradition of Islam which is authentic or weak. Mosf of us do not recognize and misunderstood him with another scholar Syu'aid al-Arnaout. That is the main purpose of this study. This article is divided into five section which is, introduction, three special sections and conclusion. The next part explain the end of his academic achievement and his passion to study about the Prophet SAW.

***Keywords**: Hadith scholar; Abdul Qader al-Arnaout; sunnah*

ABSTRAK

Makalah ini bertujuan memperkenalkan seorang ulama iaitu Sheikh Abdul Qader yang berasal daripada Damascus. Beliau adalah seorang ulama yang berusaha membezakan hadis-hadis di antara yang sahih dan daif. Sebahagian besar daripada kita tidak mengenalinya dan tersilap serta menyamakannya dengan seorang lagi yang bernama Syu'aid al-Arnaout. Atas tujuan itulah kajian ini dilakukan dan ia terbahagi kepada pengenalan, tiga bahagian khusus dan kesimpulan. Bahagian seterusnya mengenai perjalanan akademik dan bahagian akhir ialah usaha dan kesungguhan beliau dalam membicarakan tentang hadis Nabi SAW.

***Kata kunci**: Ulama hadis; Abdul Qader al-Arnaout; hadis al-Sharif*

المقدمة

أما بعد: إن عنوانَ هذا البحث الذي أشارك في نشره هو: العلامة المحدث عبدالقادر الأرناؤوط (سيرتُهُ وجهودُهُ في خدمة الحديث الشريف)، وقليل من الناس من يعرف هذا العالم، أو شيئاً من أخباره؛ بل إن كثيراً من طلبة العلم يخلطون بينه وبين الشيخ شعيب الإرناؤوط، ولعل هذا من أقوى الأسباب التي دفعت بنا للتعريف بهذا العلامة رحمه الله تعالى، وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة عناصر وخاتمة؛ أما المقدمة فتشتمل على تمهيد وتوطئة للدخول في موضوع البحث، فالعنصر الأول فهو للحديث على حياة الشيخ وسيرته الذاتية، وأما العنصر الثاني ففيه الحديث عن سيرته العلمية، والعنصر الثالث ففيه الحديث عن جهود الشيخ في خدمة الحديث النبوي الشريف، وأما الخاتمة فقد اشتملت على شكر ووصية نختم بها هذا البحث – إن شاء الله –.

فأبدأ مستعيناً بحول الله وقوته بالمقدمة، وأبدأ فيها بالكلام عن فضل أهل الحديث ومكانتهم: إن مما لا يشك فيه العقلاء إن أفضل العلوم بعد علم القرآن الكريم هو علم الحديث

الشريف، الذي تعرف به جوامع الكلم، وتتفجر منه ينابيع الحكم، وتدور عليه رحى الشرع بأسره، وهو ملاك كل أمر ونهي، ولولا هذا العلم لقال من شاء ما شاء، وخبط الناس خبط عشواء، وركبوا متن عمياء (كما قال الإمام ابن المبارك في فضل الإسناد كما نقل عنه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه) كيف لا وهو يختص بدراسة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوتى جوامع الكلم وسواطع الحكم من عند رب العالمين (al-Mubarakfuri t. th). لذلك نال أهل الحديث من الشرف والمنزلة ما نالوا ببركة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، فياله من علم سيط بدمه الحق والهدى، ونيط بعنقه الفوز بالدرجات العلى. وقد ورد كثير من الأحاديث والأخبار والآثار وأقوال العلماء في فضل أهل الحديث ومكانتهم التي لا يضاهيهم فيها أحد، نذكر بعضاً منها على سبيل التمهيد لموضوع البحث.

منها ماروواه الإمام الترمذي عن ابن مسعود أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى له من سامع قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. (al-Turmudhiy t. th)، قال الملا على القاري: خُص مبلغُ الحديثِ كما سمعه بهذا الدعاء لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة، فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله، وهذا يدل على شرف الحديث وفضله ودرجة طلابه، حيث خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بدعاء لم يشرك فيه أحد من الأمة، ولو لم يكن في طلب الحديث وفضله وتبليغه فائدة سوى بركة هذه الدعوة المباركة؛ لكفى ذلك فائدة وغُنماً، وجل في الدارين حظاً وقَسماً (al-Turmudhiy t. th). وقال أبوبكر بنُ العربي: قال علماء الحديث ما من رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهه نضرة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأً ..... الحديث.

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولى الناسِ بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاةً (al-Turmudhiy t. th). قال ابن حبان عقب هذا الحديث: في الخبر بيان صحيح على أن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في القيامة يكون أصحاب الحديث، إذ ليس في الأمة قوم أكثر صلاة عليه منهم.

فحقاً لا يعرف لعصابة من العلماء في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من عصابة أهل الحديث؛ ذلك أن شغلهم الشاغل هو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نسخاً وكتابةً وقولاً وعملاً وتبليغاً واستماعاً، لذا قال ابن عساكر: ليهن أهلُ الحديث هذه البشرى فقد أتم الله نعمه عليهم بهذه الفضيلة الكبرى، فإنهم أولى الناس بنبيهم وأقربهم إن شاء الله تعالى وسيلة يوم القيامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم يخلِّدون ذكره في طروسهم، ويجددون

الصلاة والسلام عليه في معظم الأوقات في مجالس مذاكراتهم ودروسهم، فهم إن شاء الله الفرقة الناجية (al-Mubarakfuri t. th).

وفي الحديث الآخر الذي رواه البيهقي والذي يتقوى بتعدد طرقه ويكون حسناً – إن شاء الله – كما جزم بذلك ابن كيكلدي العلائي، وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: يحمل هذا العلم من خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين (al-Bayhaqi 1994)، فالله تعالى في عصر لابد أن يسخر من العلماء من يذبُ عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويدافع عنها، ويبين الصحيح من الضعيف والموضوع والباطل، إلى ذلك من أقسام الحديث التي سخر الله لها الجهابذةَ من العلماء، قال القسطلاني: وفيه تخصيص حملة السنة بهذه المنقبة العلية (al-Qastallaniy t.th)، وقال سفيان الثوري: لا أعلم علماً أفضل من علم الحديث لمن أراد به وجه الله تعالى، إن الناس يحتاجون إليه حتى في طعامهم وشرابهم، فهو أفضل من التطوع بالصلاة والصيام لأنه فرض كفاية (al-Mubarakfuri t. th).

قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح: وروينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس قال: سمعت البخاري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم – في المنام – وكأنني واقف بين يديه وبيدي مِروحةٌ أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح (al-Asqalaniy 1379H). وفي تفسير قوله تعالى{يوم ندعو كل أناس بإمامهم} قال الحافظ ابن كثير: وقال بعض السلف هذا أكبرُ شرفٍ لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبي صلى الله عليه وسلم (Ibn Kathir 2000).

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ... قال الإمام البخاري – رحمه الله – سمعت عَلِيَّ بْنَ المديني يقول: هم أصحاب الحديث، وأخرج الحاكم في علوم الحديث بسند صحيح عن الإمام أحمد أنه قال: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم " (al-Mubarakfuri t. th).

وأهل الحديث هم الغرباء كما جاء في حديث الغربة بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، كما نقل عن غير واحد من العلماء. قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: ويُروى عن بعض العلماء أنه قال: أشدُّ البواعثِ وأقوى الدواعي لي على تحصيل علم الحديث؛ لفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبما أن شيخنا ومحدثنا الذي يدور حوله البحث من علماء دمشق؛ وإن كان أصله ليس منها كما – سيمر معنا – ولكنه درس هناك وتربى هناك فعُد من علماء دمشق؛ رأينا أن نعرج على فضائلِ الشام، وفضائلِ دمشقَ على وجه الخصوص.

من المعروف لدى المطلعين على ما ورد في باب فضائل الحديث النبوي أن مِن أصح ما ورد في فضائل المدنِ بعد مكةَ والمدينةِ، هو ما ورد في فضائل الشام بعامة ودمشق خاصة، من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: الشام صفوة الله من بلاده إليها يجتبي صفوتِهِ (صفوتَهُ) من عباده فمَن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطةٍ، ومَن دخلها مِن غيرها فبرحمةٍ، (al-Tabraniy 1404H). وإذا كانت الشامُ هى الصفوةُ؛ فإن دمشقَ هى صفوةُ الصفوةِ من بين مدائن الشام، وذلك بإخبار من لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، إذ يقول عليه الصلاة والسلام : إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن المسلمين (Ibn Asakir 1995)، وفي رواية: (خير منازل المسلمين) (Abu Dawud 1990)، قال العلقمي: هذا الحديث يدل على فضيلة دمشق وعلى فضيلة سكانها إلى آخر الزمان وأنها حصنٌ من الفتن العظيم (Abadi 1415H).

ومن تم فقد أصبحت هذه المدينة محطَّ رحال الفضلاء ومحجَّة العلماء وطلاب العلم منذ عصر الصحابة إلى يوم الناس هذا، وقد ذكر المؤرخون أنه دخل دمشقَ عشرةُ آلافِ عينٍ رأت النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان لهذه المدينة الحظ الأوفر من ميراث النبوة على ممَرِّ العصور، وكانت من أكبر مراكز رواية الحديث والعناية به، ولعل تاريخ ابن عساكر – الذي هو بحق أكبرُ وأوسعُ تاريخٍ لمدينة من المدن الإسلامية – أصدق شاهد على ذلك، حيث ضم تراجمَ حوالي عَشْرَةِ آلافٍ عَلَم نسبوا إلى دمشقَ حتى عصره، ومعظم المترجم لهم هم من المحدثين وحفاظ السنن (al-Lahham t.th)، كما يشهد لذلك قول ولي الله الدهلوي: إن الإنسان إذا أراد أن يسند حديثاً في عصرنا هذا لا يمكنه أن يجد إسناداً لا يمر بالدمشقيين.

هذه مقدمةٌ وجيزة مهدنا بها للدخول في موضوع البحث، وهو الحديث عن العلامة المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله تعالى.

العنصر الأول سيرته الذاتية

وفيه التعريف بالسيرة الذاتية للشيخ، وأنقل هذه السيرة من لقاء أجرته شبكة أنا المسلم مع الشيخ في مدينة الرياض يوم الخميس الموافق 25 محرم 1422هجرياً، وكذلك من مقال نشره أحد تلاميذ

الشيخ، فأقول:إن الاسم المشهور للشيخ في العالم الإسلامي هو "عبد القادر الأرناؤوط" إلا أن اسمه في الهوية الشخصية هو "قَدْري". ونسبه هو:"قَدْري بن صَوْقَل بن عَبْدُول بن سِنَان...". وأما شهرته بالأرناؤوط فهي عبارة عن لقب أطلقه الأتراك على كل ألباني.

مولده ونشأته

ولد شيخنا العلامة الحافظ، المحدث الفقيه المتبصر، الحكيم الورع، والداعي النبيل/وداعية النبيل – نحسبه كذلك و لا نزكي على الله أحد – بقرية فريلا في إقليم كوسوفا من بلاد الأرناؤوط في ما كان يعرف بيوغوسلافيا، سنة (1347هـ – 1928م) ، والأرنؤوط –كما قال الشيخ الألباني رحمه الله– جِنسٌ يندَرِجُ تحته شعوبٌ كثيرة من الألبان واليوغوسلاف وغيرهم، حتى إن الألباني قديماً كان يكتب على غلاف كتبه: تأليف محمد ناصر الدين الأرناؤوطي. وقد هاجر شيخنا سنة (1353هـ _ 1932م) إلى دمشق بصحبة والده – رحمه الله– وبقية عائلته وكان عمره آنذاك ثلاث سنوات، من جراء اضطهاد المحتلين الصرب للمسلمين الألبان، وكان المسلمون آنذاك أقلِّيةً مضطهدين من قبل الصِّرب يمارسون عليهم الضغوط بشتى أنواعها، مما دعا السكان المسلمين للفرار بدينهم من وطأة هذا الحكم الشيوعي الظالم إلى بلاد المسلمين، وعندما كان الشيخ صغيراً حرص والده على تعليمه اللغة الألبانية، فأتقنها وهذا ساعده كثيراً في رحلاته إلى البلدان التي زارها ولا سيما بلده الأصلي إقليم كوسوفا في يوغوسلافيا متخطياً بذلك حاجز اللغة (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

أسرته وأولاده

نشأ الشيخ في عائلة فاضلة حيث تربى على الفضيلة والعفّة والأدب مع والدين كريمين، إلا أن والدته – واسمها شانه– وافاها الأجل وهو مازال صغيراً. وقد رزقه الله أحدَ عشرَ ولداً من البنينِ ثمانيةَ ذكور، وثلاثَ إناث، وهم جميعاً من زوجته الثانية، سوى الأول – وهو الابن الأكبر واسمه محمود – فمن زوجته المتوفاة، وابنه محمود معروف بنشره لعدة كتب منها: شذرات الذهب الذي أشرف على تحقيقه الشيخ عبد القادر. وسكنت عائلة الشيخ في بداية هجرتها من يوغوسلافيا في منطقة ركن الدين بدمشق، فترة من الزمن تقارب السنة، ثم انتقلت إلى منطقة الديوانية البرّانية مع عائلات أخرى يوغوسلافيا من إقليم كوسوفا، فسميت تلك المنطقة فيما بعد بحارة الأرناؤوط ثم سكن مع أسرته في حي الميدان بدمشق، حيث يجتمع إليه الناس وطلبة العلم من كل صوب ليسألوه عن أمور دينهم (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

صفاته

كان شيخنا أبيض اللون مشرباً بحمرة، أزرق العينين، أشقر، إلى الطول أقرب، قوي البنية، ذلك لأنه كان رياضياً بارعاً في شبابه، وحفظ الله له صحته عموماً إلى ليلة وفاته. إلا أن كسراً أصاب قدمه وأثّر على ركبته، مما جعله يجري عملية استبدال لمفصلي الركبة بعد سنوات من المعاناة. وكان شيخنا مرحاً صاحبَ نكتةٍ ودُعابةٍ، ومن أهم صفاته أنه لا يعرف التكبر ولا يرى لنفسه حظاً، فقد كان شديد التواضع بالفطرة وزاده العلم تواضعاً، ويكتب دائماً في توقيعاته وعند اسمه: العبد الفقير إلى الله العلي القدير، عبدالقادر الأرناؤوط، خادم علم الحديث في دمشق، وهو آية في ترك التكلف، ولا نجد في شخصيته الغرور ولا الكبر، بل يتواضع لكل الناس ولا يخدعه مظهر من مظاهر الدنيا، ولا سيما أن النفس لها حظوظ في مثل هذه الحالات، فهو عارف بحقيقة عبوديته لله عز وجل، ولذلك اتصف بالصفات النبيلة، ولا يرضى بالألقاب، فأعزُ لقبٍ يحرصُ عليه هو (العبد الفقير) ويأبى ما سواه، ومن سمع كلامه عرف فيه الإخلاص والصدق، وهو مع ذلك قوي وجريء في بيان الحق والصدع به، كان لا يخاف في الله لومة لائم، وله مواقف مشهودة في صلابته في السنة وتصديه للمنكرات وأهلها، والقصص والمواقف التي حصلت له في ذلك كثيرة. وشيخنا كريم اليد، واجتماعي، كان يحضر دعوات الناس ومناسباتهم، إلا أن ميزتَه على غيره من المشايخ أنه لا يكاد يضيع دقيقةً من الوقت دون إرشاد ونصح، فما أن يجلس حتى يقولَ بصوته الجهوري الفصيح: روى فلان وفلان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ، ثم يسرد شيخنا جملة من الأحاديث الجامعة المناسبة للحال، كل ذلك من حفظه المتقن، يرويها حرفياً لا بالمعنى (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

العنصر الثاني سيرته العلمية

يقول الشيخ معرفاً بنفسه: فإني أنا العبد الفقير إلى الله تعالى العليّ القدير: عبد القادر الأرناؤوط طالب علم، مّنَّ الله تعالى عليَّ بأن وفقني لطلب العلم منذ هجرةِ والدي –رحمه الله– إلى دمشق الشام، فقرأت القرآن وجوّدته وأنا صغير، وممّا مَنَّ الله عليَّ به أن حُبِّب إليَّ قراءةُ حديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحِفظه، في أوّل شبابي ومقتبل عمري، ومضيت على ذلك سنوات عديدة، ولما طُلِب مني أن أحقّق كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم– لابن الأثير الجزري رحمه الله – كنت مضطراً للرجوع إلى كتب السنة –كالكتب الستة، والمسانيد، والجوامع، والأجزاء وغيرها– لتخريج الأحاديث التي جمعها ابن كثير – رحمه الله– وإلى كتب التفسير، وشروح الحديث، وكتب اللغة، وما زلت – ولله الحمد– حتى الآن أرجع إلى دواوين السنة

النبوية. درس شيخنا في صغره في مدرسة الأدب الإسلامي، حيث درس فيها سنة واحدة فقط ثم انتقل إلى مدرسة الإسعاف الخيري، فدرس فيها إلى الصف الخامس، وكان في ذلك الوقت الذي يتخرج من الصف الخامس يأخذ الشهادة الإبتدائية، لذلك يقول هو عن نفسه: فأنا ما أخذت شهاداتٍ مدرسيةً ولا درستُ دراسةً أكاديميةً، وإنما أخذت هذه الشهادة الإبتدائية فقط، لكن في ذلك الوقت كان عندنا شيخ في المدرسة الإبتدائية، رجل أصله من المغرب اسمه الشيخ صبحي العطار كان يعلمنا القرآن الكريم وتجويده، ويعلمنا الفقه، فاستفاد منه كثير من الناس، وأنا في جملة من استفاد منه رحمه الله (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

ثم يقول: وأراد مني والدي – رحمه الله – أن أتعلم مهنة الساعات عند الساعاتي الشيخ سعيد الأحمر – رحمه الله – وكان قد درس في الأزهر، فرضى الشيخ سعيد أن أشتغل عنده في مهنة الساعات، ولكونه درس في الأزهر وتخرج منه، أراد أن يمتحنني، فطلب مني أن أقرأ شيئاً من القرآن، فقرأت عليه بعض الآيات، فأعجبته قراءتي، فقال لي: على من قرأت القرآن؟ فقلت له: على الشيخ صبحي العطار – رحمه الله – ثم الشيخ محمود فايز الدير عطاني تلميذ الشيخ محمد الحلواني الكبير – رحمه الله – وسألني هل درست شيئاً من النحو والصرف على المشايخ؟ فقلت له: نعم درست شيئاً من النحو والصرف على الشيخ سليمان غاوجي الألباني، فقال لي الشيخ: نحن الآن في شهر رمضان، من الذي يجب عليه الصوم، ومن الذي لايجب عليه؟ وكنت قد حفظت بيتين من الشعر في الفقه الحنفي من الشيخ صبحي العطار وأنا صغير، فذكرتهما للشيخ الساعاتي وهما:

وعوارض الصوم التي قد يُغتفر **** للمرء فيها الفطر تسع تستطر

حبلٌ وإرضاعٌ وإكراهٌ سفر **** مرضٌ جهادٌ جوعه عطشٌ كِبَر

فطلب مني أن أذكر معناهما، فذكرته له، ففرح كثيراً وقال لي: أنت ينبغي أن تكون طالب علم فشجعني على ذلك وأخذت أدرس على المشايخ، وكان من جملة المشايخ الذين درست عليهم: محمد صالح الفرفور في دمشق، وسمعت من عدة مشايخ في جامع بني أمية الكبير، وأتقنت مهنة الساعات عند الشيخ سعيد الأحمر، وكنت أعمل في مهنة الساعات وأدرس على المشايخ في الصباح بعد الفجر وبعد المغرب والعشاء. يقول شيخنا: جلست عند معلمي في الساعات: الشيخ سعيد الأحمر خمسَ سنواتٍ حتى تعلمت هذه المهنة، وكنت فيها معلماً ولله الحمد، ثم افتتحت دكاناً لنفسي بعد خمس سنوات، في هذه الأثناء طلب مني مدير المدرسة التي كنت فيها وأخذت منها الشهادة الإبتدائية – مدرسة الإسعاف الخيري – أن أرجع وأدرّس في هذه المدرسة، ولما رجعت ودرّست فيها كان شيخي – رحمه الله – صبحي العطار لايزال معلماً

فيها، فجئت أنا ففرح بي كثيراً، وقال الحمد لله لقد كنت طالباً عندنا، والآن أصبحت أستاذاً معنا في هذه المدرسة؟ فحُبِّبَ إليَّ أن آخذ معي صحيح مسلم، فأخذت صحيح مسلم فقرأته في المدرسة بين الفرص أثناء تدريسي، فعند ذلك أخذت أقرأ كتاباً بعد كتاب من كتب الحديث وأحفظ (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

ويُعتبر الشيخ سعيد الأحمر التلي – رحمه الله تعالى – معلمه في مهنة الساعات هو أول من وجهه إلى طريق طلب العلم ودلَّه عليه، فكان له الفضل الأكبر – بعد الله عز وجل – في تشجيعه لطلب العلم الشرعي، ومنذ ذلك الحين والشيخ منكَبٌّ على تعلم العلم ودراسته.

انضم الشيخ – كما أشرنا سابقاً – إلى حلقة الشيخ صالح الفرفور، فدرس عليه علوم العربية والفقه الحنفي والتفسير، والمعاني والبيان والبديع، حيث لازمه فترة من الزمن تقارب عشر سنوات، وأخذ عن الشيخ سليمان غاوجي الألباني شيئاً من الفقه وعلم الصرف، وقرأ القرآن الكريم وجوده على الشيخ المقرئ صبحي العطار ثم أعاد قراءة القرآن مرة أخرى بتجويده من أوله إلى آخره على الشيخ محمود فايز الدير عطاني المقرئ تلميذ شيخ القراء آنذاك الشيخ محمود الحلواني بقراءة حفص عن عاصم، وأعلى من هؤلاء كلِّهم أخذُه العلم عن العلامة : بهجت البيطار – رحمه الله تعالى – فكانت له به صلات واجتماعات، وكان يقول له: أنت يابني مشربك من مشربنا فأرى أن تدرِّس مكاني وهذا الذي حصل، فقد استمر الشيخ يدرِّس كتاب العلم في جامع الدقاق وجامع الشربجي بالميدان بعد وفاة العلامة بهجت البيطار (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

هذا وقد استفاد شيخنا باجتماعه بخيرة علماء تلك الفترة، من أمثال علي الطنطاوي، ومحمد أمين المصري، وابن مانع، والرفاعي، ومحمد بن لطفي الصباغ، وغيرهم ممن كان يجالسهم ويجتمع بهم، كما تأثر بأخلاق العالم المربي الأستاذ أبوعبدالرحمن الألباني، وكان يقول عنه – أي الشيخ عبدالقادر يقول عن الألباني : إنه يمثل أخلاق السلف، وقد سُئل الشيخ – رحمه الله – عن علاقته بالعلامة الشيخ الألباني – رحمه الله – هل هي قوية؟ فأجاب: بأنها جيدة وهو يزوره إذا نزل الأردن، وأن الألباني يرسل له مؤلفاته الجديدة، وأراه منها صحيح وضعيف الأدب المفرد، وكان الشيخ عبد القادر يُدرِّس صحيح الأدب المفرد للألباني، بل قد ينظر في كتب الألباني كالصحيحة والإرواء والضعيفة بحضرة طلبته دون أيِّ حرجٍ، إذا ما أراد أن يستخرج الحديث، وهو يثني على علم الألباني بالحديث، لكن الشيخ لا يوافقه على آرائه الاجتهادية في المسائل المعروفة التي أفتى فيها الشيخ الألباني بما أداه إليه اجتهادُه كمسألة الذهب المحلق وغيرها.

لذلك قال بعض الطلبة الذين يدرسون على الشيخ: لقد كان بعض المغرضين في مجلس الشيخ من سوء أدبهم: كلما تكلم الشيخ ذكروا الألباني وخلافه، كأنما يريدون غضبةً من الشيخ عبد القادر في حق الشيخ الألباني –كما هي طريقة من لم يتأدب بأدب العلم — وما أكثرهم في مجالس العلماء هذه الأيام وللأسف– فقال الشيخ عبد القادر قولة شديدة فيها إلجام لهؤلاء – بعد أن عرف قصدهم– : الشيخ ناصرٌ صاحبُنَا وصديقنا ليس بيني وبينه شيء (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

وسئل الشيخ عن علاقته بالعلامةِ الشيخِ عبدالعزيزِ بنِ باز – رحمه الله تعالى – فأجاب: أما سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي المملكة – رحمه الله – فأول مرة اجتمعت به عندما كنت أشتغل في جامع الأصول في الشام، وكنت كلما انتهى مجلد منه أرسل نسخة إلى الجامعة الإسلامية، وأرسل مجلداً إلى رابطة العالم الإسلامي، وأرسل مجلداً إلى حبيب الله الأعظي في الهند، على أساس أن كل من له ملاحظة يبديها لنا، وكنت جئت إلى الحج منذ أربعين عاماً، وكانت في ذلك الوقت قد فُتحت الجامعة الإسلامية حديثاً، والشيخ ابنَ باز كان مدير الجامعة، وأنا كنت ألقيت كلمة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب خطبة الجمعة، فلما سمع الشيخ قال لطلابه من المتكلم؟ قالوا: عبدالقادر الأرناؤوط من دمشق، فقال لهم: اجلسوا، وكنت ذكرت حديثاً في ذلك الوقت وشرحته، والحديث رواه أحمد في المسند والطبراني في الكبير عن معاذ بن جبل – رضى الله عنه – قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات...الحديث، وعندما انتهيت من الكلام وشرحت الحديث جاء سماحة الشيخ وسلم عليّ ودعاني إلى الغداء، وفي طريقه سألني: هل هذا الحديث إسناده ضعيف؟ فقلت: نعم، إسناده في مسند أحمد فيه ضعف، وإسناده في معجم الطبراني فيه ضعف، ولكنَّ له ثلاثَ شواهدٍ يتقوى بها، فهو حديث حسن بشواهده، فقال لي: بارك الله فيك، وطلب مني أن آتي إليه كلما جئت إلى المدينة النبوية، فكنت أتردد عليه في الجامعة الإسلامية في المدينة، وتعرفت على كثير من المشايخ الذين كانوا يعملون مع الشيخ في ذلك الوقت، مثل الشيخ: عمر فلاتة، والشيخ حماد الأنصاري، والشيخ عبد المحسن العباد وغيرهم (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

ولما انتقل الشيخ إلى الرياض أيضاً كنا نأتي إليه ونزوره، ولما سمع الشيخ من بعض الأساتذة في الجامعة الإسلامية أني أتقن اللغة الألبانية طلب مني وقال: يجب عليك أن تذهب إلى بلدك في السنة مرة لكي تدعوهم باللغة الألبانية لكي يفهموا عنك الشريعة الإسلامية، فذهبت إلى كوسوفا وترددت سنوات عديدة فكنت أدرس وأخطب وأعلم فيها.

رحلاته العلمية

رحل الشيخ إلى بلاد عديدة، ولم يكن يمنعه بُعد المسافة ومشاق السفر عن هدفه السامي في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وعملاً بقوله تعالى{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (فصلت ٣٣)، فكانت معظم رحلاته العلمية منحصرة إلى مسقط رأسه إقليم كوسوفا في يوغوسلافيا وما جاورها من البلاد المتعطشة للإسلام كألبانيا، فآثاره وجهوده لا تنكر، وفضله لا ينسى في تلك البلاد، وسافر مرات عديدة إلى الشارقة والرياض ومكة والمدينة وغيرها لإلقاء الدروس والالتقاء بالعلماء وطلبة العلم، كما أن الشيخ يتوجه باستمرار إلى بعض البلاد العربية والإسلامية للمشاركة في المؤتمرات وإلقاء المحاضرات والندوات العلمية المفيدة.

العنصر الثالث جهوده في خدمة الحديث الشريف

أما عن التدريس فقد بدأ به في حلقة شيخه صالح الفرفور في علم التجويد كما تقدم، ثم عمل الشيخ مدرساً لعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف بين عامي (1380-1373، أي 1952 – 1959) في مدرسة الإسعاف الخيري بدمشق (التي درس فيها). وفي عام (1381هـ – 1960م) انتقل إلى المعهد العربي الإسلامي بدمشق، فدرَّس فيه القرآن والفقه، ثم انتقل إلى التدريس في معهد الأمينية إلى ما قبل سنتين تقريباً (من وفاته رحمه الله)، و منه إلى معهد المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني بدمشق، فكانت حصيلة شيخنا رحمه الله في التعليم والإمامة والخطابة خمسين سنة، قضاها احتساباً لله تعالى. هذا بالإضافة إلى ذلك، فهو يقوم بتدريس ما يقارب الخمسين طالباً من مختلف بلدان الأرض مادة الحديث وغير ذلك، ويدرّس الألبان منهم بلغتهم الألبانية (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

وقد قام الشيخ نفع الله به الأمة بتدريس جمع كبير من المصنفات، منها: كتب التوحيد والعقيدة، وكتاب الباعث الحثيث شرح الشيخ أحمد محمد شاكر على مختصر علوم الحديث لابن كثير الدمشقي صاحب التفسير، وإرشاد طلاب الحقائق لمعرفة سنن خير الخلائق للإمام النووي، وهو مختصر لكتاب ابن الصلاح، وقواعد التحديث في شرح فنون مصطلح الحديث للشيخ جمال الدين القاسمي، وفتح المغيث في شرح ألفية الحديث للحافظ السخاوي، وزاد المعاد لابن القيم، ومختصر صحيح البخاري للزبيدي مع شرحه عون الباري" لصديق خان، وكفاية الأخيار للحصني في الفقه الشافعي، وصحيح الأدب المفرد، ومختصر تفسير الخازن وغيرها كثير (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

وأما عن نشاطه الدعوي ودفاعه عن السنة

ولما كان الشيخ في الستين من عمره ومتمتعاً بقوة الشباب، كان يسافر إلى بلده كوسوفا، في يوغوسلافيا كل عام عدة أيام داعياً إلى الله، وكان يلقي المحاضرات والخطب، ويعقد الندوات حتى استطاع بفضل من الله أن يدخل إلى قلوب الناس بتواضعه ومحبته لهم وحسن أخلاقه. ولقد عرفه أهلُ دمشقَ وغيرها في خطبه على المنابر، وفي دروسه في المساجد، بجرأته على قول الحق وبمنهجه في الدعوة، ودفاعه عن السنة النبوية الشريفة، متسلحاً بالتقوى والإخلاص لله تعالى، وهو سلاحٌ يتسلح به كل داع إلى الله إذا أراد لدعوته أن تقوم لها قائمة أو تنشطَ من سبات. وقد اتخذ الشيخ – رحمه الله – الدعوةَ إلى الله والدفاع عن السنة منهجاً في حياته، وتقلد الشيخ الوظائف العليَّة في ديننا: فقد تقلّد الخطابة في سنة (1369هـ - 1948م) وكان عمره آنذاك عشرين (20) سنة، حيث كان خطيباً في جامع "الدّيوانية البرَّانية" بدمشق، حيث بقي فيه خطيباً لمدة خمسة عشر (15) عاماً، وهناك تعرف على جاره الشيخ الألباني دون أن تكون له به صلةٌ علميةٌ في ذلك الوقت (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

ثم انتقل إلى منطقة القَدَم بدمشق، حيث قام ببناء مسجد فيها بمساعدة أهل الخير، وسماه جامع عمر بن الخطاب، وعمل فيه إماماً وخطيباً لمدة عشر سنوات، والقدم حيٌّ في أطراف دمشق، يقول بعض العوامّ أن في تلك المنطقةِ أثرَ قدمِ رسولِ الله ﷺ، وهذا كذب إذ أنه في رحلته للشام في صغره لم يتجاوز بُصْرى، كما يعلم الجميع، والبعض يقول بأنها قدمُ موسى عليه السلام. ثم انتقل الشيخ إلى منطقة الدحاديل بدمشق، وكان خطيباً في جامع الإصلاح وبقي فيه مدة عشرِ سنوات. ثم انتقل إلى جامع المحمّدي بحيّ المِزَّة، وبقي فيه خطيباً ما يُقارب ثماني سنوات، ثم مُنع الشيخ من الخطابة وغيرها سنة 1415. لكن الشيخ بقي أن يلقى دروسه في معهد الأمينية (وهي مدرسة قديمة للشافعية، لها مبنى جديد في جامع الزهراء بالمِزَّة)، وبقي أن يقوم بالتدريس والوعظ ولا يترك مناسبة من زواج أو وفاة إلا ويتكلم فيها وينبه الناس إلى السنة الصحيحة ويدعوهم إلى ضرورة ترك المخالفات في الشريعة. هذا مع انكبابه على التحقيق والتأليف، وتدريسه العلمَ للناس وإلقاء المحاضرات (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

وأما عن أسلوبه في الخطابة فيقول أحد الطلبة الذين يحضرون معه: وخطابة الشيخ قَلَّ أن تجد لها نظيراً، فإنك لو حضرت له لم تلتفت عنه طرفة عين: يشُدّك بكلامه، وأسلوبِه في التعبير عمَّا يتكلَّم به، فكم من إشارةٍ كانت معبّرةً عن المعنى أكثر من لفظها؟ هذا عدا طريقة كلامه، فالشيخ يعرف متى يرفع الصوت ومتى يخفضه، في طريقةٍ غايةٍ في الجمال، إضافة إلى أن الشيخ جهوري الصوت، ولقد

كان المسجد المحمدي يمتلئ بالمصلين في خطبة الجمعة، وكذا في مسجد عمر بالقدم. ومن الطرق التي يستعملها في خطبه أن يورد الحديث بذكر اسم الصحابي ومن أخرجه ويترجم لهم ترجمة مختصرة جداً ثم يشرع في الشرح مستشهداً بالآيات والأحاديث، وهذا كلُّه في دقة وتناسب وتنسيق جميل، ثم بعد انتهاء الخطبة يجيب الشيخ على أسئلة السائلين، في الحديث والفقه والتوحيد وغير ذلك، فلا تكاد تخرج من المسجد إلا وقد شحنت إيماناً وعلماً.

كتبه وتحقيقاته

لم يعتمد الشيخ منهج التأليف، ولكنه اعتمد التحقيق منهجاً له، يقول في ذلك: اخترت التحقيق على التأليف، لأن التأليفَ عبارةٌ عن جمع معلومات دون تمحيص ودون تحقيق (يقصد في الغالب). أما التحقيق فإن طالب العلم يقف فيه في المسألة على صحتها أو عدم صحتها، لأن المحقق عليه أن يبين الحديث وصحتَه وحُسنَه وضعفَه ووضعه، فيكون طالب العلم على بينة من أمره. ويقول أيضاً: ذلك لأن المؤلفات كثيرة، والتحقيق أولى، وذلك حتى نُقدِّمَ الكتاب إلى طالب العلم محقَّقاً ومصحَّحاً حتى يستفيد منه. ويقول الشيخ: فإني – بعونه تعالى– حقّقْت أكثر من خمسين كتاباً كبيراً وصغيراً، في الفقه والحديث والتفسير والأدب وغيرها، وهي موجودة في العالم الإسلامي.

وأختم هذا العنصر بثناء العلماء عليه

يقول الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي (رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بكلية الشريعة بجامعة دمشق) عنه: إني أعرف الأخ الشيخ عبد القادر منذ زمن بعيد، وقد صاحبته في سفرٍ إلى روسيا، وهو يتميز بسلامة لُغتِه، وقوة حفظه، وتقواه، ووَرَعِهِ، ومحبة الناس له، ومعرفته بأحكام الحلال والحرام، وتميزه بحفظ الأحاديث النبوية: بالرجوع إلى مصادرها وضبطها ومعرفة الأحكام المترتبة عليها، ويتميز أيضاً بأنه ذو خُلُقٍ كريم، وأدب رفيع، ويحترم أهل العلم، ويجد فيهم ويجدون فيه أُنْساً وفضلاً وحُباً للسُّنة النبوية والعناية بها، وقد شهد له عالم التأليف والتصنيف، تحقيقاتٍ كثيرةً دقيقةً وجيدةً وممتازةً مثل تحقيق كتاب جامع الأصول لابن الأثير الجزري، وغيرها من كتب الحديث، وكل ذلك إنما يُنبئ عن عِلمٍ غزيرٍ، وفَهمٍ دقيق، ومتابعة للروايات، وتعرف على رجال الحديث والسنة.... ويقول الشيخ الدكتور مصطفى ديب البُغا – حفظه الله – (أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة بجامعة دمشق) عنه: "الشيخ عبد القادر رجلٌ عالمٌ، طيبٌ، وورع، ومُحَقّقٌ، ومعتدلٌ في مواقفه، هذا ما أعرفه عنه (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

ويقول فضيلة الأستاذ محمد رياض المالح –رحمه الله– عنه: نشهد بأن الشيخ عبد القادر –حفظه الله، ونفع الأمة بعلمه– رجلٌ فاضلٌ عفيف اللسان، وهذا شأن العلماء، والجميع يشهد بنزاهته، وتواضعه، ومعاملته الحسنة للآخرين، وإننا جميعاً نُقدِّرُ عمله العظيم في تحقيقه لكتاب جامع الأصول الذي لاقى قبولاً كبيراً بين الناس، وحَقَّقَ للجميع النفع والفائدة المرجُوّة. ويقول الشيخ عبد الرحمن الشاغوري – حفظه الله– عنه: إن الشيخ عبد القادر رجلٌ مستقيمٌ، يحبنا ونحبه. وقد صحبته مُدَّةً طويلةً من الزمن خلالَ تدريسي في معهد العلوم الإسلامية عند الشيخ عبد الله دك الباب حيث كُنا على أشد المساعدة والتعاون والائتمان. ولم نر له أخطاءً طوال هذه المدة، فهو حافظٌ (حافظُ) لسانه، وحافظٌ (وحافظُ) كيانه، وهذا ما أعرفه عنه، كما أنه يتَحَرّى دائماً في فتواه، فلا يعتمد على عقله، إنما يعتمد على الأحاديث الصحيحة. رحمه الله رحمة واسعة (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

وفاته

توفي شيخنا في دمشق فجر الجمعة 13شوال 1415، الموافق ل26 تشرين الثاني 2004. يقول أحد تلاميذ الشيخ: بلغنا عن محمد ابن شيخنا عبد القادر، قال: كان شيخنا أمس الخميس في كامل عافيته وصحته، ثم نام، ولما أرادت والدتي إيقاظه للفجر لم يرد عليها، ثم حرّكته فوجدته ميتاً وجبينه متعرق، فإنا لله وإنا إليه راجعون. أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(الزمر:42)، وصُلّي على شيخنا بعد صلاة الجمعة في جامع زين العابدين بحي الميدان، وامتلأ الجامع مبكراً، وكذا الشوارع المحيطة به رغم البرد، وأمّ المصلين ابنه الأستاذ محمود الأرناؤوط ، وكانت جنازة لم تشهد مثلها دمشق منذ فترة طويلة، ودفن بمقبرة الحقلة (http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm).

ونحن نرجو حسن الخاتمة لشيخنا، حيث مات بعد صوم رمضان، وبعرق الجبين، ويوم الجمعة، ومات ثابتاً عزيزاً شامخاً رغم الأذى والمضايقات التي حصلت له في سبيل نشر السنة. نسأل الله أن يتغمده برحمته ويجمعنا به في مستقر رحمته إنهُ جواد كريم. ولعل من الأسباب التي هيأت للشيخ هذه المكانة العلمية، وهذا العطاء العلمي، هو إخلاصه في دعوته إلى الله عز وجل، وحبه لعلم الحديث النبوي الشريف، وتفرغه التام لخدمة السنة النبوية، مع سلامة الإعتقاد، وكذلك المنهج المستقيم الذي اتبعه في حياته، وهو منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، مما جعله من العلماء المحدثين، ووصلت سمعته إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ولعله لم يكن بعد

الشيخ الألباني – رحمه الله – أكبر من شيخنا خدمة لعلم الحديث، حتى كان شيخنا ممن طُرِح اسمه لترشيحه لجائزة الملك فيصل الأخيرة لخدمة الإسلام، فجزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

REFERENCES

al-Quran al-Karim

Abadiy, Muhammad Shams al-Haq. 1415H. *'Awn al-Ma'bud*. Bayrut: Dar al-Kitab al-Ilmiyyah.

Abu Dawud, Sulayman bin Dawud. 1990. *Sunan Abu Dawud*. Bayrut: Dar al-Fikr.

Anon. t.th. *Liqa' Shabakah ana al-Muslim ma'a al-Sheikh 'Abd al-Qadir al-Arnaout.* http://ibnamin.com/Arnaut/interview.htm [9 Februari 2015].

al-Asqalaniy, Ahmad bin Ali. 1379. *Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari*. Bayrut: Dar al-Ma'rifah.

al-Bayhaqiy, Abu Bakar Ahmad bin al-Husayn. 1994. *al-Sunan al-Kubra*. Makkah: Dar al-Baz

Ibn Asakir, Abu Hilal. 1995. *Tarikh Madinah al-Dimashq*. Bayrut: Dar al-Fikr

Ibn Kathir, Abu al-Frida'. 2000. *Tafsir al-Quran al-Azim*. al-Qahirah: al-Faruq al-Hadithah.

al-Lahham. t. th. *Juhud Ulama' Dimashq fi al-Hadith fi Qarn al-Rabi' Ashar al-Hijri*. Dimashq: Jamiah Dimashq.

al-Mubarakfuri, Muhammad bin Abd al-Rahman. t. th. *Tuhfat al-Ahwadhiy*. Bayrut: Dar al-Fikr.

al-Qastalaniy, Ahmad. t.th. *Irshad al-Sari*. Bayrut: Dar al-Fikr.

al-Tabaraniy, Sulayman bin Ahmad bin Ayub. 1404H. *al-Mu'jam al-Kabir*. Mosul: Maktabah al-Ulum.

al-Turmudhiy, Abu Isa Muhammad bin Isa bin Sawrah. t. th. *Sunan al-Turmudhi*. Bayrut: Dar al-Ihya' al-Turath al-Arabiy.